

عوامل وأسباب الإقتراض اللغوي بين اللغة العربية ولغة الهوسا

الدكتور إبراهيم عمر محمد

Flight Lieutenant & Chief imam of Sokoto Airforce Base

المقدمة:

تتناول هذه المقالة ظاهرة الإقتراض من اللغة العربية إلى لغة هوسا، وذلك من حيث التعريف وذكر عوامل وأسباب التي تؤدي إليها، وعرض جوانب الرئيسية التي تستمد منها لغة هوسا في حاجتها إلى الإقتراض عن طريق ضرب النماذج، ثم تبيان دلالاتها وما يحدث باللفظ بعد الإقتراض من تغيير النطق أو المعنى.

اللغة ظاهرة اجتماعية تنمو وتنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى في المجتمعات البشر المختلفة فتخلقها في صورة تلقائية وعفوية طبيعة اجتماع هؤلاء البشر وتنبعث من الحياة الجمعية المنظمة، وغير المنظمة وما تقتضيه هذه الحياة من شؤون، وهي أن اللغة في حقيقتها لا تعدو أن تكون وسيلة من وسائل تنظيم المجتمع الإنساني، تربط بين الأفراد وتربط بين الجماعات، وتربط بين الشعوب. وهذا يعني أن الأمة بصفة عامة تحتاج إلى بعضها البعض، لا تنفرد أمة وتجتمع كل ما تحتاج إليه إلا وتستعير من غيرها الأدوات التي لا تعيش إلا بها، وليس من الواجب أن تترجم كلما استعارته من قوم إلى لغتهم، وقد يستقرضونه مع لفظه في لغته الأصلية فأصبح من الضروري الإقتراض بين اللغات.

الإقتراض ظاهرة لغوية مشتركة لا تكاد تخلو منها لغة ما دام لها متحدثون لهم أدنى اتصال أو احتكاك مع متحدثي لغة أخرى، ويدل تالريخ البحث في اللغات على أنه لا توجد لغة تخلو تماما من الإقتراض.^١

مفهوم الاقتراض:

الاقتراض في اللغة مصدر من اقترض يقترض اقتراضا، يقال اقتضت منه، أي أخذت منه قرضا، وأقرضه، أي أعطيت إياه قرضا. والقرض ما تعطيه غيرك من مال أو نوحه على أن يرده إليك بعد حين.^٢ إذن فالاقتراض في اللغة العربية يعني ما تأخذه من غيرك أو تعطيه إياه سواء كان ماديا أو معنويا، ويشترط فيه الرد إذا كان ماديا.

أما في الاصطلاح اللغويين فقد عرفه الكثيرون ممن كتبوا حول هذا المجال، منها:

- "العملية التي توجد فيها إحدى اللغات بعض العناصر اللغوية في لغة أخرى.^٣

- محلولة نسخ صور مماثلة لنمط لغوي لإحدى اللغات تعلم سابقا في لغة أخرى. ويقول فيه سيرسن: فليس الاقتراض اللغوي في الواقع إلا تقليدا لا يختلف عن تقليد الأطفال لحديث آبائهم إلا أنه تقليد للبعض لا لكل.^٤

- عملية التي تمتص بها لغة ما ألفاظا وتعبيرات، وربما أصواتا وأشكالا من لغة أخرى، وتكيفها في استخدامها مع أو بدون تكيف صوت ودلالي.^٥

إن الاقتراض في اصطلاح اللغويين يختلف تماما عن معناه العام، لأن الاقتراض عند اللغويين لا يلزم المقترض أن يرد إليه ما اقترضه منه، بل لا يحتاج إلى المقترض، وقد يكون بدون معرفته.

ويفهم من تعريف pei Mario أن الاقتراض شائع في الألفاظ والتعابير مع احتمال حدوثه في الأصوات والأشكال القواعدية، وهذا يؤكد ما يشير إليه إبراهيم أنيس إلى أن لظاهرة الاقتراض نواح متعددة، وأثار متشعبة، إذ أن عناصر اللغة بصورة عامة تختلف في سرعة قبولها للتطور، فبعض هذه العناصر محل جدل وخلاف، والبعض الآخر موضع دراسة واختلاف في المذاهب.^٦

الاقتراض عند القدامى والمحدثون:

إذا نظرنا إلى ما ألفه اللغويون القدامى نرى أنهم اختلفوا في وجود الفاظ الدخيل في لغة معينة، والشاهد على ذلك ما ذهب إليه بعضهم بأن كلمة القرطاس والسندس والدرهم والاستبرق والرقيم وأمثالها ليست كلمات عربية، بل إنما هي مأخوذة من الفارسية والسريانية والعبرانية وغيرها، ومنهم من يخالف ذلك على أنها مائة هي إلا التوافق بين اللغتين، وقد ألف ابن حسنون كتابا سماه "اللغات في القرءان" وأنكر فيه وجود الدخيل أو الأفاظ المقترضة في القرءان الكريم واستدل بتفسير ابن عباس عند قوله تعالى: "بلسان عربي مبين" الشعراء: ١٩٥. قال: بلسان قريش، ولو كان غير عربي ما فهموه، وفي ذلك قال تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" (إبراهيم: ٤) وليس من الألسنة ما أوسع من لسان العرب، والقرءان الكريم ليس فيه إلا لغة العرب، وربما وافقت اللغة اللغات،^٧ وقد رتب فيه بعض الألفاظ من سورة البقرة إلى سورة الناس وأتى بدلالاتها على حسب مختلف اللهجات العربية وقبائلها.^٨

أما المحدثون فكان لهم الاختلافات في ذلك أيضا، وتقول الباحثة فريضة هبو طنن يايا: "لقد سلك اللغويون في تصنيف المواد المعجمية لكل لغة إلى كلمات أصلية وأخرى دخيلة، واصطلح المحدثون على تسمية هذا الأخير بالأفاظ المقترضة، إلا أن هذا المصطلح لم يفز بالقبول من جميع علماء اللغة، لذا وُجد من اعترض على اطلاق تسمية المقترض بالدخيل"^٩

وإذا كان المر كذلك فهذا يعني أن المحدثين ما اتفقوا على تسمية الدخيل أو الألفاظ المستعارة بالاقتراض اللغوي، وعلى ذلك يقول هوجن: haujen فالمجاز المتضمن في كلمة الاقتراض مجازا بالتأكيد طالما أن الاقتراض يتم من غير موافقة المقترض (اللغة المعطية) وليس هنالك إلزام للمقرض (اللغة الأخذة) برد ما اقترض، فالعملية يمكن أن يطلق عليها بـ"التبني" وعلق سيرسن أيضا على هذا المصطلح بقوله إنني أستعمل اصطلاحين: ألفاظ المقترضة وألفاظ المستعارة، لأن تعارف الناس عليها يجعلها أنسب لا لأنهما صحيحان^{١٠}

اعتمادا على وجود نماذج كثيرة في قضية الاقتراض بعد الاستقراء والتتبع وتحليل طرق وصولها أنتج إلى أن الاقتراض يكون مباشرة من حيث اللفظ والمعنى، ومثال ذلك ما اقترضته اللغة

العربية من الانجليزية، نحو: جاكيت، بَنَك، ميكروفون، ميكانيك، ونحوها. وقد يكون غير مباشر وذلك بنتيجة عدم نطق الصحيح أو إلقائه على دلالة أخرى، نحو: بُهاري في بخاري، وألُو في اللوح، وسَلَّه في صلاة.

عوامل وأسباب اقتراض اللغوي بين لغة الهوسا والعربية

في الحقيقة أن لغة الهوسا اقترضت ألفاظ العربية قد لا تؤد ولا تحصى، وذلك لأن علاقتهما قوية ومتينة، وأدى ذلك إلى عوامل كثيرة، منها:

أولاً- العامل الديني، إذ أن اللغة لا تأخذ من مفردات أي لغة إلا إذا كان هناك إتصال بينهما، فكانت الوسطة بين اللغة العربية والهوسا هي الدين الإسلامي، وله دور حضاري وثقافي واجتماعي ويفضله تعرف قبائل الهوسا على العالم الخارجي، وكما أن للغة العربية دور مميز في إيصال الدين الإسلامي والمعارف الجديدة إلى بالذ الهوسا، لأنه تدخل أينما يدخل الإسلام، ولأنها هي وعاء الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، فالمسلمون لا بد أن يتعلموا على الأقل ما يفهمهم لأداء الشعائر الدينية والفروض العينية من صلاة وصيام وزكاة وغيرها، ولأن الهوساويين أخذوا دين الإسلام من العرب فأخذوا معه مصطلحاته واستعملوها حتى صارت جزء لا يتجزأ من لغتهم الأصلية.

ثانياً- العامل التجاري، لا ينفصل الدين الإسلام عن التجارة من حيث الدخول إلى بلاد الهوسا، ولا يسبق أحدهما الآخر، لأن قافلة الداعية الذين أتوا بالإسلام هم التجار أنفسهم، وقد ساهم هذا على وجود مصطلحات تجارية وآلات الحربية والمستعلة في البيت في لغة الهوسا، ومثال ذلك: تنور Tanderu، شاي shayi، أمانة Amana، مد mudu، حساب Lissafi، البارود Alburushi، الحرب Harbi، البندقية bundiga، وهكذا.

ثالثاً- العامل الإداري، من المعروف أن دين الإسلام لا يتماشى إلا مع الرئاسة، ولكل شيء هاد، في العبادة والمعاملة، وفي الأمن والغزو، وفي القعود والسفر. وقبائل هوسا بايعوا عن الإسلام بأكمله واستعملوه كقانونا لهم، واتبعوا شريعته ونظام مناصب الحكومية، وقد أدى ذلك إلى وجود

المصطلحات الإدارية كثيرة في لغتهم، ومن أمثلة ذلك: الوزير Waziri، القاضي Alkali، المفتي Muhuti، الحكم Hukunci، شوري shawara، الحاكم Hakimi، قضي kuliya، وهكذا.

ومن الأسباب ما يلي:

أولاً- الحاجة إذ أن الدافع الرئيس للاقتراض هو الحاجة إلى إيجاد ألفاظ موضوعات جديدة ومفاهيم جديدة وأسماء جديدة، فمن السهولة بمكان أن تقتض لغة ما مصطلحا موجودا في لغة أخرى من أن تبتدع مصطلحا جديداً. ومثال ذلك أسماء الأطعمة والملابس التي جاءت بها تجار العرب إلى بلاد هوسا، فبدلاً من أن تنادى بأسماء جديدة فسموها بألفاظها العربية، نحو: خبز Alkubus، الحرير Alharini، الخلة Hula، القمح Alkama، القرنفل Kananfari وهكذا.

ثانياً- المكانة prestig، إذ قد يشعر المتحدثون للغة ما بالحاجة إلى الاقتراض ليس بسبب أن لغتهم لا تمتلك كلمة المناسبة للموضوع المعين، ولكن بسبب أنهم يعتقدون أن الكلمة المساوية في اللغة الواهبة أفضل وأعظم مكانة إلى حد ما. وكذلك مثل ما اقترضته لغة الهوسا في اللغة العربية من المصطلحات الدينية، نحو: القرآن Kur'ani، الصدقة Sadaka، الزكاة Zakka، الجنة Aljanna، القبر kabari، ونحوها.

ثالثاً- النزعة إلى التفوق والامتياز، ومعنى هذا أنه قبل الإقدام على مثل هذا النوع من الاقتراض هو أن تشعر اللغة الأخذة بأن اللغة المأخوذة محسوبة في عداد الأمم التي ينظر إليها بأنها جديرة بالتقليد في كل المجالات بوجه عام أو في مجال معين على أقل تقدير؛ وهو أقرب إلى السبب المذكور أعلاه. ومثال ذلك في كلمة شاي Tea يسمى Ruwan bunu في لغة الهوسا إن صح التعبير، لكن جذبتهم النزعة إلى التفوق فسمونه باسمه العربي، ومثال آخر القثيفة katifa، الجبة Jabba، ونحوها.

وقد أدى هذا إلى التكلف في استعمال الكلمات الأجنبية في لغة هوسا، حيث ترى المثقف باللغة العربية أو الانجليزية يتكلم بلغتين مختلطين في آن واحد حتى لا تكاد تميز بأيهما يتكلم.

رابعا- ما يسمى بالكلمات المدروسة، وهي الكلمات التي توجد في العلوم وأنظمة الأبحاث وكتب العلمية غالبا، ومثال ذلك مثل علم النوح Nahawu ، الصرف Sarfu، البلاغة Balaga، القافية kafiya، ونحوها.

خامسا- الإعجاب باللفظ الأجنبي، وهو سبب مباشر من أسباب من الاقتراض، وذلك مثل أسماء الأشخاص حيث يسمون الهوساويون أبناءهم بأسماء العرب وإن كان هذا عامل ديني، ولكن لا عيب في ضرب المثل به.

ومجمل القول أن هناك أسبابا عديدة تساعد في عملية الاقتراض من اللغة العربية إلى لغة الهوسا وتتداخل في كثير من الأحيان وتختلف في سعة انتشارها.

دلالات الألفاظ العربية المقترضة في لغة الهوسا:

نفهم أن لغة هوسا استعارت من اللغة العربية ألفاظا كثيرة، وقد بذل الباحث المشهور G.P Bargery جهدا كبيرا في البحث عن اكتشاف الألفاظ العربية المقترضة في لغة الهوسا، وجمع عددا كبيرا من الألفاظ، ويظهر هذا في مؤلفه القيم: A Hausa-English dictionary and English Hausa Vocabulary وجعل فيه رمز ar أمام ألفاظ العربية المقترضة في معجمه هذا.^{١٥} ومن تلك الألفاظ ما اقترضته لغة الهوسا مباشرة بدون تحريف النطق أو الدلالة، ومنها ما استعارته غير مباشرة، قد تحذف فيه صوتا أو تبدله عن مخرجه الصحيح، أو تتغير دلالاته الأصلية.

مثال ألفاظ المقترضة مباشرة بدون تبديل النطق: جامعة Jami'a، الجدل Jidali، القلم Alkalami، نحو Nahawu، الوعد Wa'adi، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها أسماء الأشخاص والأماكن، كبير صغير محمد، ونحوها.

مثال ألفاظ المقترضة مع تغيير النطق: وهي أكثرها فمنها: البصل Albasا، الوقت Lokaci، اللوح Allo، الصلاة Salla . ومما يعيننا على فهمها فهو أن لغة الهوسا لا تُنطق فيها الحروف الآتية: ح-خ-ث-ص-ض-ظ-ذ-ع، فإذا كان لفظ العربي يحمل أحد هذه الحروف، ففي لغة

بصفة عامة، وبين اللغة العربية ولغة الهوسا خاصة، وأن مستويات اللغة تختلف عند عملية الاقتراض، الأصوات والترتيب والدلالة، كما اتضح أيضا أن هناك أسبابا متعددة للاقتراض اللغوي يمكن حصرها في الحاجة إلى الموضوعات ومفاهيم جديدة، ثم المكانة المتميزة للغة المفترضة، بالإضافة إلى النزعة إلى التفوق، ثم ما يسمى بالكلمات المدروسة والإعجاب اللفظي. واتضح أيضا خلال البحث العوامل التي أدت إلى الاقتراض اللغوي بين العربية والهوسا منها العامل الديني، والعامل التجاري، والعامل الإداري. وفيما يخص الدلالة فإنه تناول الألفاظ العربية المفترضة في لغة الهوسا ودلالاتها، فمنها ما استعارته مباشرة من دون تحريف النطق أو الدلالة، ومنها ما تغير نطقه ولم تتغير دلالاته، ومنها ما تغيرت دلالاته.

الهوامش:

^١ - Langacker, R.W 1973 language and its structure: some fundamental linguistic concepts, new York, Harcourt brace and world INC. p 180

^٢ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار إحياء تراث العربي، لبنان، ص: ٧٣٢

^٣ -Haujen E. The analysis of linguistics Browing journal of linguistic society of America, No: 26 1950, p19

^٤ -Haujen E. المرجع السابق ص: ١٩

^٥ Pei Mario. Glossary of Linguistics terminology, 1966 New York, anckor books, p31

^٦ - إبراهيم أنيس من أسرار اللغة ١٩٧٢ مكتبة الأنجلوا المصرية، ص: ١٠٩

^٧ - ابن حسنون اللغات في القرآن، د.ت. http://www.alwarraq.com غير مطبوع

^٨ - وهذه القبائل هي: قريش وهذيل وكنانة والأوس والخزرج وختعم وقيس وسعد وجرهم واليمن وكندة وتميم وحضرموت وحمير وسدوس والحجاز وغسان وبني حنيفة وتغلب وطيء ومزينة وثقيف وجزام، وغيرها.

^٩ - فريعة هبو طن يايا، قانون التبدل الصوتي في الكلمات الهوسوية المفترضة من العربية ٢٠١٠، بحث قدم إلى جامعة بايرو لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، ص: ٣٢

^{١٠} -Haujen E. The analysis of linguistics Browing journal of linguistic society of America, No: 26 1950, p19

١١ - فريعة هبو طن يايا، قانون التبدل الصوتي في الكلمات الهوسوية المقترضة من العربية، المرجع السابق ص: ٣٩

١٢ - Langacker, R.W 1973 language and its structure: some fundamental linguistic concepts, new York, Harcourt brace and world INC. p 181

١٣ Rodford Andrew, 1999 op Cit, p255

١٤ - إستسفين أولمان، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة: كمال محمد بشير، ١٩٨٧، القاهرة- مكتبة الشباب ص: ١٦٢
١٥ - ظهرت أول طبعة لهذا المعجم في ١٩٣٤، ثم أعيدت في ١٩٥١، وظهرت الطبعة الثالثة في ١٩٩٤، وتم نشرها في جامعة أحمد بللو زاريا.

قائمة المراجع:

١. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، دار إحياء تراث العربي، لبنان،
٢. إبراهيم أنيس من أسرار اللغة ١٩٧٢، مكتبة الأنجلوا المصرية.
٣. ابن حسنون اللغات في القرن، د.ت. <http://www.walwarraq.com> غير مطبوع
٤. فريعة هبو طن يايا، قانون التبدل الصوتي في الكلمات الهوسوية المقترضة من العربية ٢٠١٠، بحث قدم إلى جامعة بايرو لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، ص: ٣

المراجع غير العربية:

1. Langacker, R.W 1973 language and its structure: some fundamental linguistic concepts, new York, Harcourt brace and world INC. p 180
2. Haujen E. The analysis of linguistics Browing journal of linguistic society of America, No: 26 1950, p19
3. Pei Mario. Glossary of Linguistics terminology, 1966 New York, anckor books, p31
4. Langacker, R.W 1973 language and its structure: some fundamental linguistic concepts, new York, Harcourt brace and world INC. p 181
5. Rodford Andrew, 1999 op Cit,